قصة قارون مع موسى عليه السلام

obeikandl.com

obeikandl.com

قصة قارون مع موسى عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٧٦-٨٣] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله فى كتابه قصص الأنبياء : قال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان قارون ابن عم موسى وكذلك قال أكثر أهل العلم كما أورده ابن جرير وقال ابن إسحاق: أنه عم موسى ، قال قتادة : وكان يسمى المنور لحسن صورته بالتوراة، ولكن عدو الله نافقه كما نافق السامرى فأهلكه البغى لكثرة ماله ، وقال شهر بن حوشب : زاد فى ثيابه شبرًا طويلاً ترفعًا على قومه وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه حتى إن مفاتحه ليصعب حملها على الفئة الكثيرة من الرجال الشداد وقد قيل إنها كانت من الجلود وأنها كانت تحمل على الجماعة حمولة سبعين غلامًا والله أعلم .

ونقول : إن قارون كان من قوم موسى بنص القرآن الكريم سواء كان ابن عم موسى أم كان عمًا لموسى عليه السلام هذا والمفسرون يهتمون بتحديد المعانى المذكورة فى القرآن الكريم والذى يهمنا معا أن نعرف أين وقعت قصة قارون مع موسى عليه السلام والكل يعلم أن قارون أعطاه الله مالاً كثيراً جداً وأنه كان كافراً عاصيًا وأن قومه طلبوا منه أن يشكر نعمة ربه ويخرج زكاة ماله ولكنه أبى وأنكر أن يكون المال من عند ربه وزعم أنه أخذ المال لأنه مستحق له وهو عالم بذلك ، وأنه فاخر قومه وخرج عليهم مختالاً بماله وزينته وعبيده وملابسه وأنه أفسد عقول الذين يريدون الدنيا من قومه وأن أهل العلم قد نصحوه وهم يعلمون أن ثواب الدنيا خير لمن آمن وعمل صالحًا وأن الله سبحانه قد خسف بقارون وداره الأرض وأنه كان عدوًا لموسى عليه السلام وأنه حاول أن يتهم موسى بالزنى فسلط عليه امرأة بغيًا ولكنها خجلت من موسى فذكرت أن قارون أجرها لتتهم موسى عليه السلام ، وأن خسف الأرض بقارون جزاؤه وجزاء الجبارين والمتكبرين وكان ذلك درسًا عمليًا لمن تمنوا مكانه وأن يكون لهم من المال مثل قارون فلما رأوا العذاب حمدوا الله سبحانه على حالهم ﴿ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ لكن أين وقعت قصة قارون ؟

قال ابن كثير فى قصص الأنبياء : فإن قصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر لقوله سبحانه فخسفنا به وبداره الأرض والدار ظاهرة فى البنيان ، وقد تكون بعد ذلك فى التيه . وتكون الدار عبارة عن المحلة تضرب فيها الخيام كما قال عنترة :

يا دار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحًا دار عبلة واسلمى

والله أعلم

ونقول : إن الله ذكر قارون فى سورة غافر فقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ فقارون كان كافراً قبل رسالة موسى ومعنى ذلك أنه لم يكن من الصالحين وكان من أعوان فرعون وأن رسالة موسى يخص جزءا منها كبيرا ما عليه قارون من الجحود وكفران النعمة التى أنعمها الله عليه ، وبذلك يتعين أن يكون المكان الذى حدثت به قصة قارون موجوداً بداخل مصر وتحديداً مكان بحيرة قارون بالفيوم، فهى من آيات الله سبحانه والله سبحانه عندما يهلك قومًا كافرين يجعلهم عبرة لمن بعدهم ويترك آثارهم لينظر إليها من بعدهم وأمر الناس فى الكتاب الكريم بالسير والنظر : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٤٢] .

وبحيرة قارون بالفيوم لم يقم أحد بالحفر فيها أو التنقيب عن ثروة قارون رغم التقدم العلمى كما لم يقم أحد بالحفر فى صحراء الأحقاف ليخرج كنوز إرم ذات العماد ، ولا تغيير أبداً فى الأماكن التى ذكرها القرآن الكريم وتحدث عنها أنها آثار لأقوام ظالمين الذين أنزل الله عليه العذاب ، وإذا صح هذا وهو الصحيح فإن السياحة الدينية سوف ترى بحيرة قارون بعين المعتبر المتدبر الذى يرى فعل ربنا سبحانه وتعالى بالقوم الظالمين ، كذلك من ينظر إلى البحر الميت بالأردن يعرف أين المكان الذى عذب الله فيه قوم لوط .

هذا ويرى ابن كثير أنه يمكن أن تكون قصة قارون حدثت بعد عبور موسى ببنى إسرائيل إلى سيناء وأنها حدثت فترة تغربهم فى التيه وهذا الرأى وإن كان بعيداً لسبب واحد وهو أن الذين عبروا مع موسى كانوا مؤمنين باستثناء موسى السامرى وأن الله ذكر أن قارون قال ما قالهَ فرعون وهامان لموسى : ﴿ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ .

وعلى فرض صحة الرأى الذى يقول أن قارون عبر مع موسى إلى سيناء

فتكون تلك القصة حدثت فى وقت التيه وفى الأماكن التى كانوا يسيرون فيها فى سيناء وهو رأى بعيد ، وهناك رأى آخر يظهر من سياق بعض الآيات من القرآن الكريم مثل قول الله تعالى . ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الاعراف: ١٣٧] .

وقوله سبحانه فى سورة الدخان : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ .

وقوله سبحانه فى سورة الشعراء : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩] .

وقوله سبحانه فى سورة القصص : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥، ٦] .

ومن هذه الآيات نقول أن هناك إشارة مؤكدة فى قصة الخروج والتى تقول أن بنى إسرائيل ورثوا ملك فرعون ، وهذا لا يتفق مع ما هو مذكور أن بنى إسرائيل خرجوا إلى أرض سيناء فمكثوا فيها أيام التيه حتى توفى موسى عليه السلام ثم دخل بهم يوشع بن نون أرض الموعد وهى أرض فلسطين .

ولكن سياق التوراة والقرآن والقصص الكثيرة التى حدثت مع موسى عليه السلام منها ما يذكر من أحداث التيه ومنها ما يذكر فى سياق آخر ويمكن أن يكون الخروج حدث على مرتين ، المرة الأولى حيث خرج موسى ببنى إسرائيل عليه السلام ومن ثم دخل بهم يوشع بن نون أرض الموعد وهى أرض فلسطين، ولكن سياق التوراة والقرآن والقصص الكثيرة التى حدثت مع موسى عليه السلام منها ما يذكر من أحداث التيه ومنها ما يذكر فى سياق آخر ويمكن أن يكون الخروج حدث على مرتين ، المرة الأولى حيث خرج

موسى بنى إسرائيل فراراً من جيش فرعون وانفلق له البحر وسار إلى طور سيناء وتلقى التوراة وكملت له الرسالة ثم رجع ببنى إسرائيل إلى مصر فأقام فيها زمنًا طويلاً وفى هذا الزمن حدثت قصة البقرة وقصة قارون وبعض الحوادث التى توحى بأنها حدثت فى مجتمع مستقر زراعى ، ثم أمره الله بالخروج مرة ثانية إلى أرض فلسطين ولما وقف بنو إسرائيل عن جهاد من فيها وعصوا فإن الله عاقبهم بالتيه فى أرض سيناء وحرم عليهم دخول مصر وغيرها حتى ماتت الأجيال القديمة وكبر الشباب فدخل بهم يوشع بن نون أرض فلسطين وهذا مجرد تصور نتوقعه من سياق الآيات القرآنية والله أعلم.

قال ابن كثير فى قصص الأنبياء : وقد ذكر الله تعالى قصة قارون فى غير ما آية من القرآن قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر:٢٣، ٢٤] .

وقال تعالى فى سورة العنكبوت بعد ذكر عاد وثمود : ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبون:٣٩، ٤٠] .

الذى خسف به الأرض قارون كما تقدم والذى أغرق فرعون وهامان وجنودهما أنهما كانوا خاطئين .

وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبدالرحمن حدثنا سعيد حديثنا كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبدالله بن عمرو عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال : «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف**» انفرد به أحمد رحمه الله .